

## الحلقة (٩)

فقد وقفنا في اللقاء السابق عند قول الله عز وجل ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ولعلنا نتذكر أن هذه الآية الكريمة جاءت بين الخصوصية التي يعيشها المسلم مع زوجه من خلال المعاشرة الزوجية، وجاءت هذه الآية كأنها فاصلٌ يسيراً بعد أن تتابعت الأحكام الشرعية، فهي كأنها فاصل بين الأحكام التي تتابعت وبين الأحكام المتتابعة الآتية بعدها إن شاء الله.

### مفردات الآية:

﴿عُرْضَةً﴾ أي علة يتعلل بها، من عرض العود على الإناء إذا سيره حاجزاً له ومانعاً منه، والمعنى نهيه عن أن يحلفوا بالله على أنهم لا يبرون ولا يتقون، ويقولون لا نقدر أن نفعل ذلك لأجل حلفنا، فيكون المراد من الآية النهي عن الجرأة على الله بكثرة الحلف به، لأن من أكثر من ذكر شيء في معنى من المعاني فقد جعله عرضة له. إذاً على الإنسان سواء أكان في حياته الخاصة أو في الحياة العامة فيجب عليه أن يجعل حلفه لا يضطر لاستعماله إلا وقت الضرورة.

ومعلوم لدى الجميع أن الحلف لا يكون إلا بالله عز وجل أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، ولا يكون بغير ذلك، والله عز وجل يحلف بما شاء من مخلوقاته، وأما المخلوق فليس له أن يحلف إلا بالله عز وجل.

أما حلف الله عز وجل فقد أقسم الله سبحانه وتعالى ببعض آياته مثل الفجر والشمس وما إلى ذلك، وأما المخلوق فلا يجوز له أن يحلف إلا بالله، انطلاقاً من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (من **كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**) يعني إذا اضطر للحلف فليحلف بالله وليصدق بالقول. أما أن يتخذ من اسم الله عز وجل هزءاً بأن يورده في الصحيح وغير الصحيح، في الصدق والكذب فهو على خطر.

وآية المائدة وجهت المسلمين قائلة ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ ونحن نعلم أن مادة حفظ تدل على حرص شديد على المحفوظ عليه، فإذا الآية هنا تنهى أن يجعل الإنسان لفظ الجلالة عرضة له في كل صغير وكبير من أموره، هذا لا ينبغي.

وبعض الناس قد يحلف بالله عز وجل ويقول: (والله لن أزور صديقي) فإذا ما قيل له وذكر بالنهي الوارد في التدابير والتقاطع قال: (والله أني حالف ما أزوره)، لا يا أخي الكريم، كفر عنيمينك، وزر

صديقك، لأن الزيارة بين المسلمين على حسب درجاتهم: واجبة، وقد تكون مستحبة في بعض صورها.

فإذاً لا يجعل المؤمن الحلف بالله عز وجل مانعاً له في فعل الخير، وأيضاً لا يجعل الحلف على لسانه أبداً، فليحرص على أن لا يحلف بالله عز وجل إلا وقت الضرورة، وألفاظ الحلف معلومة معروفة: والله، وربي، والذي نفسي بيده، وهكذا وأكثر ما كان يحلف به النبي صلى الله عليه وسلم هو والذي نفسي بيده.

### ✽ إعراب الآية:

﴿ قوله تعالى: {تَبَرُّوا} مفعولٌ من أجله، والبر: جميع وجوه الخير، وهو ضد الإثم. ﴿ قوله تعالى: {أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا} مبتدأ، وخبره محذوف، أي تقديره البر والتقوى والإصلاح أولى وأمثل، إذاً المبتدأ قوله تعالى: {أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا}، والخبر محذوف تقديره البر والتقوى والإصلاح أولى وأمثل.

ومعنى الآية واضح، فيا أيها المؤمنون لا تجعلوا اسم الله عز وجل نصماً وغرضاً لكل أمر صغير أو كبير، وأصلحوا بين الجميع فالله هو السميع العليم، فهو يسمع سبحانه ويعلم النيات، فعلى المؤمن الذي اتقى الله عز وجل أن يحذر من الوقوع في كثرة الحلف، ويحفظ لسانه انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾.

✽ قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ٢٢٥

فلاحظوا الآيتين متفتحتان في مسألة الحلف، الأولى أمر نهي ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ فتلك نهت عن أن يجعل الإنسان اسم الله عز وجل غرضاً ونصباً له دائماً، فجاءت هذه الآية لتبين لنا أن الله عز وجل هو الرحيم الرؤوف بعباده، وتبين لنا بعض الأمور الجبلية والتي يمكن أن يعفى عنها.

إذاً الأصل أن الإنسان لا يكثر الحلف بالله عز وجل، ولكن الطبيعة البشرية يغلب عليها النسيان فينسى، وإذا نسي وكان لسانه معتاداً على الحلف، لكن ليس الحلف الذي فيه عقد النية والجزم، إنما قد يكون هو أقرب إلى اللغو، (إن الإنسان يتكلم وليدة اللحظة دونما نظر إلى نية سابقة) فجاء قول الله عز وجل: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾

### ✽ سبب نزول الآية:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزل قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ في قول الرجل "لا والله، وبلى والله".

إذا سبب النزول على ما روته عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية من فضل الله عز وجل ورحمته أنه تجاوز عن اللغو الذي يعتري الإنسان كما ذكرناه سابقاً، فعائشة رضي الله عنها تقول "في قول الرجل لا والله" يعني هذا يحصل كثيراً، يأتي إنسان يسألك وقد يكون شارد الذهن فيقول كم الساعة الآن؟ فينظر إلى ساعته ثم يقول: والله الساعة الخامسة، فهذه لغوة، هو لا يريد أن يجمع قلبه على الحلف، يندر أن يحترز الإنسان منها، فإذا معفو عنه بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فالأصل على الإنسان أن يحفظ أيمانه، ولكن ما لا يستطيع الحفاظ عليه من الأيمان فهذا معفو عنه بفضل سبحانه وتعالى.

### ❁ مفردات الآيات:

❁ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ اللغو: مصدر لغى يلغو ويلغى لغواً، ولغى يلغى لغاً، أي إذا أتى بما لا يحتاج إليه بالكلام أو بما لا خير فيه.

**قال الشاعر:** ولست بمأخوذ بلغو تقوله\*\*\* إذا لم تعد عاقدات العزائم.

فإذاً هذا اشتقاق اللغو، وأهل اللغة ذكروا هذا كله وأكثر من هذا، إذاً هذا هو اللغو وهذا اشتقاقه وهذه حقيقته، فاللغو كما قلنا ما هو إلا شيء يأتي على الإنسان الذي طبيعته تغلب تطبعه.

فقد يعزم الإنسان ويجتهد في هذا على أنه لن يحلف بالله عز وجل على سبيل العزيمة ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ ويعقد عزمه على ذلك، لكن الإنسان كثير النسيان فتأتي عليه لحظة فيسأل عن شيء فيقع فيما كان يحترز منه، فإذاً هذا معفو عنه رحمة منه سبحانه وفضلاً.

ومدار الشريعة على النية بل أحسب أن المصطلح (إخلاص) هذا مصطلح إسلامي صرف، فإذا عقد الإنسان النية على أن يحلف بالله عز وجل وهو موقن في قرارة نفسه أنه يحلف بالله كاذباً، فهذا لا شك أمر خطير، وعرض نفسه للعذاب الأليم، ويدخل في اليمين الغموس، ولا سيما إذا كان هذا الحالف مقتطعاً حق امرء لمسلم.

وفي واقع الأمر الواقع ينبئنا على أن أكثر الحلفة هم الذين لا يثقون في أنفسهم ولا يثقون بما يقولون، ولا يثبتون بما يقولون، إذ الإنسان الصدوق الصادق لا يحتاج إلى كل وقت أن يحلف بالله عز وجل، فالحلف بالله عز وجل يعني نقول بتعبير عصري أنه (خزن إستراتيجي) إذا احتيج إليه نعم وإذا لم يحتج إليه فلا، لأنه قد يترتب عليه مفسد والشیطان شاطر، ينتقل في الإنسان من مرحلة إلى مرحلة، فالأولى يقول له أنها لفظة لغوة ثم تصبح لغوات، ثم ينتقل للمرحلة الثانية وهي الحلف مباشرة بدون توقف، (صدقا أو كذبا)، فعلى الإنسان أن يعقد النية على أنه لا يحلف البتة ما لم تكن هناك ضرورة ملجئة.

❁ قوله تعالى ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ الأيمان: جمع يمين، واليمين الحلف، وأصله أن العرب كانت إذا تحالفت أو تعاقبت أخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه، ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه

اليمين، وقيل (يمين) فعيل من اليمين وهو البركة سماها الله عز وجل بذلك لأنها تحفظ الحقوق، و(يمين) تذكر وتؤنث وتجمع على أيمان وأيمن.

هذا أصل لفظة يمين، وعرفنا كيف أن العرب في جاهليتها كانت ترى باليمين أمراً مقدساً، فإذا حلف الرجل على شيء، وقد يكون المحلوف به صنماً أو كذا، لكن نظراً لأنهم يقدسون هذا الشيء فهم موفون بما تعاقدوا عليه، فإذا الأيمان جمع يمين واليمين الحلف، وأصله أن العرب كانت إذا تحالفت أو تعاقدت أخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه، ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يميناً، وقيل يمين من (فعيل) من اليمين وهو البركة سماها الله بذلك لأنها تحفظ الحقوق، ويمين تذكر وتؤنث وتجمع على أيمان وأيمن.

هناك مسألة يسيرة تناولها الفقهاء بشي من البسط، ونحن ذكرنا ونذكر بهذا دائماً على أن المجال ليس مجال البسط والاستقصاء، ولكن المجال مجال الإشارة والعبارة التي تفي بالغرض.

◀ **اختلف العلماء في اليمين التي فيها لغو** فإذا جاء أحدهم وسأل وقال الساعة كم؟ فرد عليه وقال: والله الساعة؟، واتضح أن الساعة مثلاً؛ فما الحكم؟

بيننا من خلال سبب النزول أن الرجل كما قالت عائشة رضي الله عنها (لا والله، وبلى والله) ولكنه هنا قال الساعة كذا ولم يطابق قوله الواقع، فهذا أيضاً عُدَّ من اللغو فقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الرجل باستعجال كلامه بالمحاور لا والله دون قصد اليمين، فهذا من اللغو.

فإذاً باب اللغو باب ضيق، وباب حفظ الأيمان باب أضيق، فيجب على المسلم أن يحفظ يمينه، ولكن ما يرد على اللسان من غير قصد فهذا معفو عنه، والأفضل أن لا يقع منه هذا، لأنه يخشى عليه أن ينتقل من مرحلة إلى مرحلة ثم يقع في المحرم وهو لا يدرك.

☞ **ومعنى الآية** لا يؤاخذكم الله أيها المؤمنون باللغو في حلفكم، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم عليه قلوبكم وصدوركم، فالله عز وجل غفور حلیم فيما جاء على اللسان لغواً، أما ما انعقد عليه القلب فهذا لا شك أنه يأخذ حكماً آخر وهم حكم الكفارة وما إلى ذلك.